العلاقات الإيرانية-اليمنية
من المصالحة إلى الخديعة والصدام المباشر

كانت اليمن دائمًا محط أطماع التوسعية الفارسية منذ العصر القديم، وطريقها التقليدي في محاولة اختراق الجزيرة العربية، التي لم يستطع الفرس على مر تاريخهم اختراقها أو السيطرة عليها، ويمكن النظر إلى هذا الأمر من خلال ما طرحه البعض حول "النزوع التاريخي" لفارس غربًا للسيطرة على شرق المتوسط والبحر الأحمر ومضيق باب المندب، في إطار الصراع على إحكام السيطرة على طرق التجارة الدولية أيضًا.

وفي العصر الحديث يحدد البعض الإستراتيجية الإيرانية تجاه المنطقة العربية بشكلٍ عام، ومنطقة الخليج العربي واليمن على وجه الخصوص على النحو التالي: "ظل الساسة الإيرانيون يبحثون عن بؤر توتر للتدخل للسيطرة على الموقع والثروة، بحجة أنهم المُخلصون أو المُنقِذون... وتوارث الساسة الإيرانيون شعورًا مفاده أن هناك فراغًا إستراتيجيًا، عقائديًا لا بُد من ملئه".

ما يهمنا هنا هو تناول الدور الإيراني في اليمن من خلال رصد وتتبع العلاقات الإيرانية- اليمنية، لا سيما منذ إعلان تأسيس الجمهورية اليمنية عام (1990)، وهنا لا بُد من العودة قليلًا إلى الوراء إلى فترة الحرب العراقية الإيرانية، هذه الحرب التي اندلعت عام (1980)، واستمرت إلى (1988)؛ إذ أيّدت اليمن الشمالية العراق في تلك الحرب، ووقفت معها من منظور عروبي، وعلى أساس أن العراق هو البوابة الشرقية للمنطقة العربية، ولا بُد من حمايتها، وأثار الموقف اليمني حفيظة طهران بشدة.

لكن بعد نجاح الوحدة اليمنية بين الشمال والجنوب، وإعلان قيام الجمهورية اليمنية، بدأت طهران صفحة جديدة مع صنعاء، من خلال محاولة نسيان الموقف السابق المؤيد للعراق في الحرب، ويرى البعض أن هذه المرحلة الجديدة امتدت من الفترة من عام (1990) إلى عام (1992)، وتمثّلت أهم ملامح هذه المرحلة في إنهاء ملف الأسرى اليمنيين المحتجزين لدى إيران من جراء الحرب العراقية الإيرانية، كما بدأ العمل على المزيد من تطبيع العلاقات بين البلدين، من خلال تشكيل لجنة وزارية مشتركة تعمل على التعاون الاقتصادي بين البلدين، الذي كان في حقيقة أمره يصب في صالح إيران أكثر من اليمن، وتم تبادُل زيارات الوفود بين طهران واليمن، كما حملت هذه الوفود رسائل متبادلة بين الرئيس الإيراني هاشمي رفسنجاني، والرئيس اليمني علي عبد الله صالح، واستندت هذه العلاقات في هذه المرحلة على مبدأي المصالحة والمصلحة المشتركة.

وسرعان ما تغيّرت هذه السياسة في الفترة التالية، أي من عام (1992) حتى (1994)، وبرجع ذلك التغير إلى الزيارة المفاجئة والغريبة والاستفزازية التي قام بها الرئيس رفسنجاني للجزر الإماراتية التي تم احتلالها من قِبَل إيران في عام (1971)، وكان الهدف الحقيقي من وراء هذه الزيارة تأكيد احتلال الجزر لإيران، وإضفاء المزيد من طابع الفرسنة على هذه الجزر، مما أثار حفيظة العديد من الدول العربية واحتجاجها على ذلك الأمر، وبالطبع كانت اليمن في طليعة هذه الدول، وترتَّب على ذلك توقف أعمال اللجنة الوزارية المشتركة بين إيران واليمن، ودخلت العلاقات الإيرانية- اليمنية في حالة من الجمود، وعلى الرغم من حدوث زيارات متبادلة لوزيري الخارجية في كلا البلدين في عام (1994)، إلا أن هذه الزيارات كانت ذات طابع دبلوماسي بارد، ولم تساعد على عودة الدفء إلى علاقات البلدين.

أما المرحلة التالية فقد امتدّت من عام (1996) إلى عام (2003)، وبدأت بعودة اللجان الوزارية المشتركة، من خلال عقد اللجنة الاقتصادية المشتركة أعمالها في صنعاء خلال الفترة من 16 إلى 18 يناير (1996)، كما قام الرئيس اليمني علي عبد الله صالح بزيارة إلى طهران في عام (2000)، وتم طرح عقد اتفاقية أمنية مشتركة بين البلدين، مع النص على عدم التدخل في الشؤون الداخلية، ولم يتم التصديق على هذه الاتفاقية إلا في عام (2003)، عندما قام الرئيس الإيراني محمد خاتمي بزيارة اليمن، وتميّزت هذه الفترة بالسياسة المعتدلة لخاتمي، وللسياسة الخارجية الإيرانية بشكلٍ عام، ومع ذلك لم تخْلُ هذه المرحلة من انتقاد اليمن لسياسات إيران تجاه الجزر الإماراتية المحتلة.

أما المرحلة التالية في العلاقات الإيرانية اليمنية فتبدأ من عام (2004)، وتمتد إلى عام (2013)، التي اتّسمت بنزول دفء العلاقات، والدخول في مرحلة الأزمة، ويرجع ذلك إلى أن إيران- كعادتها- تخلّت عن تعهُّداتها السابقة بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لليمن، وعادت إلى سياستها القديمة الثابتة وأطماعها في البحر الأحمر وباب المندب، والاستفادة من بؤر التوتر في المنطقة، واللعب بالمسألة العقائدية في أمور السياسة.

ويؤكد رضوان السيد على حدوث التغيُّر الكبير في السياسة الإيرانية في هذه الفترة، بوصول مَن أطلق عليهم "المحافظين الجدد" إلى سدة الحكم في إيران، مثلما وصل المحافظون الجدد إلى الحكم في أمريكا، من هنا لجأت إيران إلى إيقاظ الخلايا النائمة والأخرى الداعمة لها في العالم العربي.

وتمثَّـل ذلك في الدعم الكبير الذي قدَّمته إيران لجماعة الحوثي في اليمن، هذه الجماعة التي تنتمي في الأصل إلى المذهب الزيدي المنتشر في شمال اليمن، لكن إيران استطاعت استمالة زعماء هذه الجماعة إلى المذهب الإيراني الاثني عشري، من خلال استقبالهم في قُم الإيرانية بحجة التعليم الديني.

وكانت حركة الحوثي قد نشأت عام (1986) في صعدة في اليمن، وروبدًا روبدًا دخلت في خلاف حاد مع النظام الجمهوري في صنعاء؛ إذ نظرت حركة الحوثي إلى هذا النظام على أنه وليد "الانقلاب" الذي حدث في الستينيات على نظام "حكم الإمام"، وأنه لا بُد من العودة إلى حكم مرة أخرى، وهكذا توافقت رؤية الحوثيين في ضرورة "حكم الإمام" مع نظرية "ولاية الفقيه" التي يقوم عليها النظام الإيراني.

ودخلت حركة الحوثي في العديد من الحروب ضد النظام الجمهوري في صنعاء في الفترة من (2004) إلى (2010)، وتكاد تُجمع أغلب المصادر على أنه لولا الدعم الإيراني المادي والعسكري لجماعة الحوثي طيلة هذه الفترة ما استطاعت هذه الجماعة الوقوف أمام الجيش اليمني، ومع ذلك دأبت طهران على إنكار توجيهها الدعم المباشر للحوثي في حربه ضد صنعاء، وانعكس ذلك على طبيعة العلاقات الإيرانية-اليمنية في هذه الفترة، ولم تكتفِ إيران بدعمها لحركة الحوثي في شمال اليمن، بل ذهبت إلى محاولة تأكيد وجودها في جنوب اليمن، من خلال محاولة إقامة علاقات مع أحد فصائل الحراك الجنوبي، وهو علي سالم البيض، الذي يقيم في بيروت، وعلى اتصال دائم بحزب الله، ولعب البيض دورًا مهمًا في نقل بعض الشباب اليمني إلى طهران للتدريب العسكري.

> **"إيران الدولة الوحيدة التي تعترف بنظام الحوثي في اليمن"**

هكذا وصلت العلاقات اليمنية الإيرانية إلى حد القطيعة، لا سيما بعد تأييد طهران المباشر لهجوم الحوثيين على صنعاء في عام (2014)، والاستيلاء عليها، وتواصل إيران مساندتها لنظام الحوثي في صنعاء، وتتمادى في عدم الاعتراف بالحكومة اليمنية التي تمثل الشرعية، وتُقدم إيران على خطوة غير مسبوقة في مجال العلاقات الدولية؛ إذ تقبل طهران أوراق اعتماد أحد زعماء الحوثيين سفيرًا لليمن في إيران، وأثار ذلك احتجاج الحكومة اليمنية الشرعية، ووجهت الاتهام إلى إيران بخرق القانون الدولي؛ لأن قرارات الأمم المتحدة لا تعترف باحتلال الحوثي لصنعاء بل وتعترف بالحكومة اليمنية الشرعية ممثلًا وحيدًا للشعب اليمني، هكذا كانت إيران هي الدولة الوحيدة التي تعترف بالنظام الحوثي المغتصب للسلطة، وهكذا وصلت العلاقات اليمنية-الإيرانية إلى مرحلة الصدام المباشر.

المراجع:

1) جمال واكيم، أوراسيا والغرب والهيمنة على الشرق الأوسط (بيروت: دار أبعاد، 2016).

2) جهاد أحمد، العلاقات اليمنية الإيرانية وأثرها في أمن الخليج العربي، مستقبل الشرق للدراسات والبحوث، 7 فبراير (2014).

3) حازم الجنابي، "الإستراتيجية الإيرانية تجاه الدول العربية"، مجلة الصارة (أكاديميا العربية)، مج18، ع2 (2012).

4) خالد القاسمي، الجزر الثلاث بين السيادة العربية والاحتلال الإيراني (الإسكندرية: دار الكتب والدراسات العربية، 1997).

5) رضوان السيد، العرب والإيرانيون والعلاقات العربية-الإيرانية في الزمن الحاضر (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2014).

6) دينا عبده، الاتجاهات العامة للمصالح الإقليمية لإيران في المنطقة العربية، دراسة مقارنة سوريا واليمن 2011- 2016، المركز الديمقراطي العربي.

7) ساموئيل راماني، الرؤية الإيرانية لمرحلة ما بعد النزاع في اليمن، مؤسسة كارنيجي، 11 ديسمبر (2019).